أغلى كرة

كان هناك ولدٌ يتيم ، يُدعى سمير كان يعيش مع أمه ؛ في بلدٍ فقير ، و كان له من الإخوة ثلاثة ، كان بيتهم الصغير يفترشونه بالحصير ، و به بعض الأثاث البسيط ، و أمام البيت ، نخلةٌ كبيرةٌ تسقط عليهم بلحاً شهياً ، و كانت هذه النخلة هى مصدر رزقهم الذي يعيشون منه ؛ بجانب معاش أبيهم الزهيد و عمل الأم الذي يوفر نفقاتهم الضرورية .

ذات صباح استيقظت الأم ؛ و أيقظت صغارها قائلة :

" صباح الخير يا أبنائي . "

فأجابها الأطفال :

" صباح الخير يا أمي . "

" هيا ... هيا استيقظوا ، إبدأوا يومكم بالصلاة ؛ ثم استعدوا لتناول طعام الإفطار . "

استجابوا جميعا ؛ و تناولوا إفطارهم ؛ ثم ذهبوا إلى المدرسة ، وأثناء عودتهم ترك سمير إخوته – و هم في غفلةٍ عنه - متجهاً إلى محل عم إبراهيم حيث تباع اللعب الكثيرة ؛ التي تخطف أنظار جميع الأطفال ؛ و تبهرهم بتنوعها ؛ فمنها عرائس الأطفال ، و العربات ، و الطائرات الورقية و البلاستيكية ، و القطار و كذلك الكرة ، تلك التي جذبت أعين الصغير حين رآها ، فظل ينظر إليها كثيراً دون غيرها من اللعب.

ظل يفكر هل أسأل عن ثمنها ؛ أم أعود إلى بيتي دون إحراج ؟ و لماذا إذن؟ فأنا لا أملك النقود ...

و أخيراً تشجّع و تقدم ؛ سائلاً عم إبراهيم عن ثمنها بصوتٍ يغلب عليه الخجل و التردد قائلاً :

" السلام عليكم ، كم ثمن هذه الكرة ؟ "

فرد السلام مبتسماً ثم قال :

" يا لها من لعبةٍ مسلّيةٍ يحبها جميع الأطفال ؛ و يطلبون شرائها ، هي بسبعة جنيهات فقط . "

ارتبك سمير حين سمع عم إبراهيم و قال :

" شكراً لك يا عم إبراهيم ... سوف أحضر ثمنها غداً ؛ لأشتريها منك .. إلى اللقاء . "

انصرف شريد الذهن متجهاً إلى بيته ، يتساءل حزيناً ؛ لماذا سألت عن ثمنها ؟ و أنا أعلم جيداً أنني لا أملك المال لشرائها !! فأنا فقير و يتيم ؛ و لن تعطيني أمي النقود . و لكنها حقاً لعبةٌ جميلةٌ و مسلّية جداً ، لطالما رأيت أبناء الجيران يلعبون بها ... كم أتمنى لو كان عندي كرة مثلها.

كانت أمه قلقةً من تأخره و ظلت بانتظاره حتى وصل إلى المنزل فسألته :

" لماذا تأخرت يا سمير؟ هل كان الطريق طويل ! ولماذا لم تأت مع إخوتك ؟ "

كذب سمير على أمه قائلاً :

"عذرًا ... عذراً يا أمي لقد وجدت أحد أصدقائي وتسامرت معه قليلاً ؛ لذلك لم أحضر مع إخوتي . "

" لا تترك إخوتك مرةً أخرى ، و الآن هيا لتتناول طعام الغداء معنا فنحن جميعاً بانتظارك . "

" حسناً يا أمي ."

بات سمير يفكر كيف يمكنه أخذ تلك الكرة حتى أنه رآها في أحلامه ، و في اليوم التالي و أثناء عودته من المدرسة ؛ توقف سمير بالقرب من محل عم إبراهيم ، و انتظر حتى خرج ليملأ زجاجة الماء ؛ فأسرع بحذرٍ إلى داخل المحل و قام بارتكاب ذنبٍ كبير، فقد سرق الكرة و خبأها في حقيبة المدرسة دون أن يراه أحد ؛ و جرى سريعاً إلى المنزل .

لامته أمه مجدداً على تركه لإخوته و تأخره عنهم ، فقال لها :

" عذراً يا أمي ؛ فلن أتأخر أبداً . "

انتظر حتى انشغلت أمه بأعمال المنزل و خرج جميع إخوته ليعلبوا سوياً في ظل النخلة ، ثم أخرج الكرة المسروقة و حينها شعر بشعورين مختلفين ؛ و هما الفرحة باقتناء هذه الكرة ، و كذلك الخوف لأنه سرقها و هي ليست ملكه ؛ و لكنه ظل يلعب بها حتى عاد إخوته فاندهشوا حين شاهدوا الكرة ، و قد تسابق كلٍ منهم إلى سمير ليأخذ منه الكرة ، و سألوه :

" لمن هذه الكرة ؟ يا لها من كرةٍ جميلةٍ ! هل عثرت عليها في الشارع ؟ "

قال أصغرهم :

" أمي ... أمي انظري يا أمى إلى هذه الكرة . "

فأقدمت الأم متسائلة :

" كرة... أية كرة ... من أين لك بها يا سمير؟ "

تلعثم سمير ، ثم قال مترددًا :

" لقد ... لقد عثرت عليها في الشارع يا أمي فأحضرتها معي . "

فقالت الأم:

" و لماذا لم تسأل عن صاحبها ؟ "

فرد سمير:

" سألت المارة في الشارع ...ولم أجد أحداً يبحث عنها . "

طلبت منه أمه أن يسأل غداً عن صاحبها ، و وعدها سمير بأن يفعل هذا .

في اليوم التالي سمع إخوته عم إبراهيم يسأل الناس و هو حزين عن الكرة المسروقة ، و عندما وصفها بأنها كرة حمراء لامعة اللون مخططة باللون الأسود ؛ صدموا جميعًا و توجهوا إلى أمهم ؛ و قصّوا عليها ما حدث . فعلمت الأم أن ابنها قد أغضب الله ؛ و سرق الكرة .

انتظرته حتى عاد من المدرسة و أمسكت بيده قائلةً بأسف شديد :

" بنيّ .. هل تعلم أن يدك هذه ستشهد عليك يوم القيامة أنك سرقت ؟ . "

" ماذا ... سرقت ... أنا لم أسرق ... لم أسرق. "

" كم أنا حزينة، لقد ارتكبت خطأين ؛ سرقت و كذبت ، و أنا أربّيكم علي الصدق و الأمانة ؛ فلماذا فعلت هكذا ؟ "

" أنا أسف يا أمي ؛ لكني أحب كثيراً اللعب بالكرة ، و قد أعجبتني كثيراً حين رأيتها في محل عم إبراهيم ، و سألته عن ثمنها و لكني لا أملك النقود لذلك أخذتها . أردت اللعب بها . "

فقالت له أمه :

" هل تحب أن يسرق أحد منك شيئاً ؟ بماذا ستشعر وقتها ؟ "

فأجابها :

" لا ؛ إنه سيشعر بالغضب حينها .

فهم سمير قصد أمه ؛ و اعتذر و طلب منها أن تسامحه فقالت له أمه :

" المهم أن تطلب من الله أن يسامحك. و لكنه لن يسامحك ؛ حتى ترد الحق لصاحبه ؛ و تطلب منه هو أن يسامحك. "

ندم سمير على ما فعل ، و ذهب مسرعاً إلى محل عم إبراهيم مصطحباً معه الكرة و قال له آسفاً :

" ها هى الكرة يا عم إبراهيم . "

فأجابه بصوتٍ تسمع فيه الدهشة و السرور:

" كرتي ... كرتي الحمراء اللامعة أين وجدتها ؟ "

" أنا آسف يا عم إبراهيم ، فأنا لم أجدها ، و لكني ... و لكني أخذتها من المحل دون علمك . أرجوك سامحني ... سامحني . "

فرد عليه غاضباً :

" و لماذا فعلت هكذا ؟ ألا تعلم أن السرقة حرام ؟ "

" بلى ، لقد وبختني أمي ، و قالت لي إن الله لا يحب السارقين ، كل ما أردته هو أن ألعب بالكرة ، لأني تمنيت كثيراً أن أشتري كرة ؛ حتي أني حلمت بذلك . "

" و لماذا لم تحضر ثمنها لتشتريها مني كما قلت؟ "

" لأنني فقير و يتيم ، و ليس لدينا نقود لشراء الكرة أو أي لعبة أخرى . "

عندما استمع عم إبراهيم إليه ، هدأ غضبه و تبدل بتعاطفٍ شديدٍ مع الطفل المسكين الذي لا حلم لديه أغلى من اللعب بالكرة ؛ ثم مسح على رأسه برفقٍ و قال له مبتسماً :

" لا عليك يا سمير، أتعلم لو كنت طلبتها مني ، ما ترددت أبداً بإهدائها لك ؟ . "

فاندهش سمير و قال :

" أحقاً يا عم إبراهيم ؟! "

" بالطبع نعم ؛ و كيف لا ؛ و هذا هو أبسط حقوق اليتيم علينا ... خذها يا سمير فهي لك ، و لكن عدني أن لا تأخذ شيئاً دون إذن صاحبه . "

" أعدك .. أعدك يا عم إبراهيم ، كم أنت طيب القلب ! أشكرك كثيراً هذه هي أغلى كرة لأني تعلمت بسببها دروساً كثيرةً . لن أنساها طيلة حياتي .

والآن هيا بنا نتلو قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)

صدق الله العظيم